

## دور البيئة والأسرة في تربية الطفل



يجب علينا ألا ننسى أنَّ الطفل يمر بمرحلة النمو التي يكتسب خلالها كل أبجديات الحياة، لهذا نجد البيئة والأسرة تلعب دوراً كبيراً في تحديد مستقبله.

### التأثير الأسري:

"يجب أن تهدف التربية أوَّلاً وقبل كل شيء إلى تعليم الأفراد المحافظة على الذات" هربرت سبنسر.

لهذا عندما يفتح الطفل عينيه ويرى نور الحياة يوضع في حضن أمه، لهذا تكون علاقته بوالدته عاطفية أكثر منها تربوية، لهذا يأتي دور الأب في تحديد سلوكه وانطباعه المبكر، لكنني أعتقد أنَّ السلوك المكتسب من طرف الطفل في صغره مستمد بشكل كبير أو كلي من شخصية الأب، لأنَّ هذا الأخير يحدد نمطية تفكير ابنه وأسلوبه في التعامل في الكثير من المواقف، والطرق المتوفرة لحل المشكلات وردات الفعل الصحيحة، لهذا نجد التأثير الأسري يظهر على الطفل تدريجياً، فالطفل يكتسب شخصيته من ذلك الاحتكاك المتواصل سواء العاطفي أو الواقعى من الوالدين طوال سنوات النمو الفكري، ولا ننسى أن مبادئ الأسرة ونظرتها للحياة ومشاكلها وإنطباعها عن الأشخاص تنتقل بشكل عفوٍ للطفل، وتؤثر بشكل مباشر على نفسيته التي تكون هشة وناعمة، لهذا نصدق حين يقال "الطفل سفير أسرته" لأنَّه في نظري الصورة الكاملة لذلك النمط الفكري والثقافي في السائد في الأسرة، لكن الغريب في الأمر حين تصادف أسرة ذكية لديها طفل غبي، ففي هذه الحالة نستنتج أنَّ هذه الأسرة ذكية في كثیر من المجالات لكن في التربية غبية لأنَّها لم تستطع إيمال مقومات نجاحها لطفلها، وهنا يمكن الفشل الأسري والتربوي، في حين نجد أسرة فقيرة تعطيك طفلاً ذكياً مثقفاً، فهذه الأسرة مع بساطتها لكنها أعطت لطفلها كل تلك الرعاية النفسية والأسرية التي جعلته قادراً على النجاح، لهذا فال التربية في عالمنا العربي تختلف من مكان إلى آخر ومن شخص إلى آخر، لهذا يجب علينا تحديد دفتر شروط تجعل العائلة والوالدين ملتزمين بتنفيذها، من أجل مصلحة الطفل والمجتمع والعالم العربي بشكل عام.

التربية تعتمد على المربى، لكن المربى نجده أحياناً يحتاج للتربيـة، في الجزائر مثلاً نجد الكثير من الحالات الغربية التي تؤثر في المجتمع، فالمربي أحياناً يكون متـخلفاً ثقافياً وعلمياً ودينياً ونـجـده يـرـبـي... فـكـيفـ يـرـبـي؟

في الحقيقة الإنسان الأمي غير القادر على تطوير مستوى الثقافة والجاهل بالأسس الاجتماعية والتطور العلمي والأخلاقي يلـجـأ إلى نمطية تربية تقليدية، أي يعيد طريقة التربية التي اتبـعـها أبوه في تربيـته ليطبقـها حرـفـياً على أـبـنـائـهـ، وهـنـاـ يـكـمـنـ الخـطـأـ، لأنـ التـرـبـيـةـ تـخـلـفـ من زـمـانـ آخرـ، إـذـ أنـ البيـئةـ تـنـتـطـورـ وـالـعـقـلـيـةـ أـصـبـحـتـ أـكـثـرـ اـنـفـاتـاحـاـ علىـ الـعـالـمـ بـأـسـرـهـ يـسـبـبـ التـنـطـورـ التـكـنـوـلـوـجـيـ السـرـيعـ، لـهـذـاـ يـجـدـ هـذـاـ المـرـبـيـ صـعـوبـةـ بـالـغـةـ فـيـ إـيمـالـ ثـقـافـتـهـ الـهـشـةـ وـالـنـاقـصـةـ إـلـىـ أـبـنـائـهـ، فـيـلـجـأـ بـطـرـيـقـةـ أـوـتـومـاتـيـكـيـةـ إـلـىـ الـحلـ الثـانـيـ الـمـتـمـثـلـ فـيـ الـقـسـوـةـ الـمـتـعـمـدـةـ، فـيـطـبـقـ نـظـرـيـاتـهـ وـقـوـانـيـنـهـ الـمـتـنـطـرـفـةـ عـلـىـ أـبـنـائـهـ بـالـقـوـةـ، وـهـذـاـ مـاـ يـوـسـعـ فـجـوـةـ بـيـنـ الـأـبـ وـأـبـنـائـهـ، فـالـانـضـباطـ الـذـيـ يـنـشـدـهـ الـأـبـ يـتـحـولـ إـلـىـ تـمـرـدـ دـاخـلـيـ وـظـاهـرـيـ عـلـىـ الـابـنـ كـلـمـاـ شـعـرـ بـالـقـوـةـ الـمـسـتوـحـاـةـ مـنـ النـصـجـ، لـكـنـ فـيـ أـوـقـاتـ أـخـرـىـ نـصـادـفـ الـبعـضـ مـنـ الـآـبـاءـ الـذـيـنـ يـجـعـلـونـ مـنـ الـدـيـنـ ضـرـورـةـ حـتـمـيـةـ عـلـىـ أـبـنـائـهـ فـهـمـ يـنـسـونـ أـنـ الـدـيـنـ يـكـتـسـبـ وـلـاـ يـفـرـضـ، لـهـذـاـ نـجـدـ نـسـبـةـ تـارـكـيـ الـصـلـاـةـ فـيـ الـجـزـائـرـ كـبـيرـةـ بـيـنـ الشـبـابـ لـأـنـ "ـأـغـلـبـهـمـ أـجـبـرـوـاـ عـلـىـ مـارـسـةـ الـصـلـوـاتـ بـالـقـوـةـ فـيـ صـفـرـهـمـ، وـتـرـكـهـاـ لـيـسـ دـلـيـلـاـ"ـ عـلـىـ اـنـحـراـفـهـمـ بـلـ تـحدـ وـاـنـتـقـامـ مـنـ آـبـنـائـهـمـ، لـهـذـاـ يـجـبـ عـلـىـ الـمـرـبـيـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـ الـوـسـطـ، حـيـثـ قـالـ السـبـاعـيـ رـحـمـهـ اللهـ "ـالـقـسـوـةـ فـيـ تـرـبـيـةـ الـوـلـدـ تـحـمـلـهـ عـلـىـ الـتـمـرـدـ، وـالـدـلـالـ فـيـ تـرـبـيـتـهـ يـعـلـمـهـ الـانـحـلـالـ، وـفـيـ أـحـضـانـ كـلـيـهـمـ تـنـموـ الـجـرـيـمةـ"ـ.

\*كاتب من الجزائر